



مبروك عطية ليس وحده من يلوم نيرة على قتلها، نعم يلوم القتيلة على كونها قُتلت، بل الآلاف فكروا مثله حين شاهدوا مقطع فيديو لفتاة تذبج في الشارع، فالجسد الأنثوي المسفوح بالشارع دون حجاب وغطاء يستحق القتل والذبج، بل وجسد جميل يصبح الاستحقاق مضاعف للقتل في نفوسنا الخميجة، أما إذا كان الحب مُبرّر ذلك فحينها يصبح مغفورًا للجريمة في نظر كثيرين "يا حرام كان بحبها"، أو كما قالت شقيقة القاتل "كان بعبد التراب تحت رجليها".

السفور والجمال والحب، قيم مرفوضة في مجتمعنا، بل ويسبقها الاتهام، وحولها دومًا دوائر الشك، تخيلوا ما عانته نيرة أشرف قبل مماتها بسبب هذه الثلاثية، وما عانته خلال مماتها، فهي جميلة وسافرة وتنتظر الحب، كلها تهم تستحق القتل، لا بل والذبج بالشارع.

كانت تحاول جاهدة التمسك بالحياة وهي تدفع بساقها السكين ذات النصل الطويل عنها، والجميع يتفرج.. يتمتع مجتمعنا في قتل السفور والجمال معًا وإذا ما كان باسم الحب، تكتمل الأسطورة فيفرغون أفواههم ينظرون إلى الجمال الذي تهتك على أسفلت الشارع، والشعر الحريري الذي توزع على رصيف قذر، تحت شمس حارة.

تتلقى طعنات حاقد مريض ذهان. لا يتذكر أحد أن يوقفه إلا بعد أن ذبحها أمام الجميع، وكأنه خلّصهم من هم فتاة قوية وبريئة وجميلة، استطاعت قول لا، لتبقى لهم النماذج الحية العاجزة العادية التبعية التي تشبههم/ن.

بل يتمتع المجتمع في تفسير ذلك وإلقاء التهم والتعاطف مع القاتل، وينسى الحقوق وينسى بشاعة القتل، وينسى الإنسانية وأبسط نتائج المنطق أن القاتل مريض نفسي بالتأكيد، وأن الأمن مُقصر، وأن المجتمعات ذات قيم عوجاء وعاجزة، وينسى أن الحب لا يكون بالقتل، وأن الجمال والسفور لا يستحقان الدفن، وينسى الآية الكريمة "وَإِذَا لَاقُوا مَوْتَهُمْ وَوَدَّعَهُمْ سُبُلًا".

مبروك عطية، ليس بداعية، انتهى زمن الدعاة، الدين ملك للفرد لا يحتاج أحد للدعوة إليه، عطية هو مجرد شخص عليل النفس والروح، لديه كاميرا في منزله يخرج ليقول آرائه الأبوية.



ومثله كثيرون يعتقدون أن الدين يميل للذكور، ويكره النساء، ويريد تغطيتهن، فأن يقوم عطية بتبرير ما حدث لفتاة جامعة المنصورة التي ذبحت بالشارع بكونها غير محجبة، لهي وقاحة وتعدي على حق مظلومة في حياتها ومماتها، إنسان ليس لديه حساسية للحق الإنساني، أبسطه حق العيش، لا يفقه في الدين سوى ما يريد، لم يسمع من قبل بالآية "مَنْ قَتَلَ نَفْسًا يَغْيِرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا".

وهذا ليس مستغربًا حين يتعاطى مع تفسير النصوص بشكلٍ هزلي، فهو ليس علامة أو حتى اقترب ليكون كذلك، هو شخص يحب خلط النكات بالآراء الدينية، وهذا لا يقلل من شأن تصريحاته الأخيرة بخصوص نيرة، فلم يجد تصفيقًا سوى عند مؤيديه، ومن يشبهه، حتى إن مبرر التحرش الأكبر باسم الدين عبدالله رشدي، المتأنق تحت ستار الدعوة أيضًا لم ينبس بنت شفة، خاف من الغضب هذه المرة ليأكله، ولكن سيأتيه الدور، فمهما كانت مجتمعاتنا رجعية إلا أنها لا تزال تملك المنطق وتتعرف على الشيطان.

هذا العقل الذكوري في التعاطي مع التفسيرات الدينية، ليس عند مبروك ورشدي وحدهما، فكثير من النساء تحمل هذه السردية الدينية في عقلها، أن الذنب ذنب المرأة، في ميل واضح لشباب القاتل الذي سيذهب هدرًا في السجن أو على مقصلة الإعدام.

إن موت النساء رخيص عند الشعوب العربية، وأذكر في مراحل بحياتي منذ الانتفاضة الأولى حتى الحرب الأخيرة التي عايشتها في 2014 كنت أرى في بعض عائلات حين تستشهد المرأة لم يكن يتم الاحتفاء بها كما الرجل، بل يتم كل شيء بصمت، لدرجة أحيانًا لا يمكن أن تعرف اسم الشهيذة، وكأن الشهادة فخر أعلى من المرأة، وبقى نتذكر صورتها بوردة وليست ملامحها الحقيقية على عكس الشهداء الرجال التي تملأ صورهم الشوارع بل إن الشوارع تحمل أسماءهم.

إن هذا الخلط بين العار وجسد المرأة ليؤرقني بشدة منذ أن قُتلت نيرة، وأتساءل بقسوة وبحق متى ستساوى أجساد النساء مع الرجال؟ ألا تثير فينا الأفكار والأقويل والإغواء والتبخيس والغيرة، وكلفة عمليات التجميل، وفتاوى الدين، متى سيكون جسدًا فانيًا وكفى؟





و حين رأيت صور الفتاة القتيلة المحجبة، تساءلت ماذا كان سيقول مبروك عطية، الذي يرى مفاتن القتيلات ولا يرى دماءهن، هل سيقول "لو لبستي النقاب يا بنتي ما حدث حيقرب ناحيتك"؟

أتمنى يومًا ما أن يخرج عطية من أمام كاميرته في منزله ويسافر ليرى النساء في العالم يرتدين ما يردن ويبلغن من الجمال مبلغه ولا يقترب أحد منهن. هل فكر يومًا أن يدعو إلى سيادة القانون، وعقاب المتحرشين؟ هل دعا إلى حسن تربية الأبناء يومًا بدل من أن يتحول عالمهم إلى مفسدة نعيشها؟ وبدلاً من أن يدعو إلى إخفاء النساء أحياء وأموات، وأن تذبج القبيلة القتيلة، ثم "تستجوب القبيلة القتيلة".

الكاتب: [أسماء الغول](#)